دعوة الجيب(*)

رهطٌ من الأطفالِ والصبيانِ ... قالوا عليهم شعبةُ الإخوانِ
منهمْ من احترفَ القيام ببدعةٍ ... عند اشتدادِ الجوعِ والحرمانِ
فتراه جاءَ بخدعةٍ مفضوحةٍ ... يسعى لنيلِ الأصفرِ الرّنانِ
هي صورةٌ مِن «الاتحاد» وحسبُهم ... ما كانَ من «جمعيةِ الأعيانِ»
جمعوا لها مالاً، وقالوا للهدى ... فإذا به قد راحَ للشيطانِ
شاهتْ وجوهُ القومِ هذي دعوةٌ ... «للجيبِ» لا للهِ والقرآنِ
هذا هو الحقُّ الذي يُبغى بهِ ... وجهُ الضلالِ ونصرة البهتانِ
همْ عصبةٌ للشرِّ نعلمُ أنها ... قامتْ على واهٍ من الأركانِ
من كلِّ مغرورٍ يظنُّ بأنه ... مَلِكُ البديعِ وسيِّدُ الأوزانِ
يبدو على النشءِ الصغيرِ مفوهاً ... سَلب النُّهي ببلاغةٍ وبيانِ
وتراهُ «قطاً» في مقالتِهِ إذا ... ما قيسَ يومَ القولِ بالأقرانِ
هو في الفهاهةِ - يا لقومي - باقلٌ - ... ويكادُ يحسبُ نفسهُ «الذبياني»[1]

(*) سبتمبر - أيلول - ١٩٥٢.

لا تعدو هذه القطعة أن تكون ردة فعل نحو أقران له وقعت بينه وبينهم خصومة في أنشاص، وأصبح يرى وجود الشعبة للإخوان في بلدته خطراً عليه وهو شاعر البلدة - وابن شيخ الرفاعية - إلى جانب ما قد يحدث من إساءات لبعض ضعاف النفوس ممن حملوا الدعوة أو أرادوا استغلالها لا سيما عندما تكاثر أفرادها وتقاطر الناس للإنخراط في صفوفها، واستغل مثل هذه القطة أعداء الدعوة ولا سيما أيام المحنة التي نزلت بهم، وسنَّ الشاعر آنذاك صغيرة.

(١) الفهاهة: من فهه. يقال رجل فه وامرأة فهَّةٌ بمعنى غفلة. وباقل: يضرب به المثل بالغفلة والتلجلج بالكلام.

تلك الجماعةُ قد تنبأنا لها بالهدْمِ يومَ إقامةِ البنيانِ
إنا وجدنا القائمينَ بأمرها شرَّ الدعاةِ وأضعفَ الأعوانِ[1]
فإذا تناهى الضعف بين جماعةً ذاقَ الجميع مرارةَ الخِذلانِ[2]

* . * . * . *

(١) ربما رأى الشاعر نماذج من الذين أغواهم الشيطان فانحرفوا، وأصبحوا من طلاب المناصب، أو ممن باعوا دينهم بدنيا غيرهم وراحوا يلوذون بالمنافع ولقد تأثر الشاعر بما كان يشاع ضد الجماعة ولكنه عند نضجه، ورؤيته للنماذج الرائعة من حملة الدعوة صار واحداً من الذين يحملونها وحسبك أن تقرأ له «رسالة في ليلة التنفيذ» وغيرها من القصائد التي تصور جهادهم ضد الطاغوت والطغيان.

(٢) يبدو أن ناشر ديوان شاعرنا (محمد كامل حته) الذي حاول أن يوجه شعر الرفاعي ليخدم سيده عبد الناصر قد راقت له هذه القصيدة فغير من عنوانها ووضعها بعنوان «حق يراد به باطل» وقدم لها مقدمة كلها افتراء وادَّعى أن الشاعر صرع على أيدي بعضهم، مع أن مصرع الشاعر كان على أيدي الشيوعيين وبتحريض من أجهزة المخابرات.